

التطبيقات الأدبية

المنهج التاريخي

المرحلة الثالثة

المنهج التاريخي:

- هو المنهج الذي يعنى بدراسة الأديب وأدبه (شاعر كاتب..) من خلال معرفة سيرته ومعرفة البيئة التي عاش فيها ومدى تأثيرها في نتاجه الأدبي أو الشعري.
- وكذلك ومعرفة العصر الذي عاش فيه والأحداث العامة والخاصة التي مرَّ بها، ودراسة النص في ضوء حياة ذلك الأديب وسيرته والظروف التي أثرت به.
- فالأحداث التاريخية وشخصية الأديب تكون عاملاً مساعداً في تحليل النص الأدبي وتفسيره.
- يعمل هذا المنهج على إبراز الظروف التاريخية والاجتماعية التي أنتج فيها النص، **دون الاهتمام بالمستويات الدلالية الأخرى**، على عكس النظريات النقدية الحديثة، كالبنوية والتفكيكية، اللتين أعطتا السلطة للقارئ وجعلتاه سيداً على النص الأدبي.
- ظهر هذا المنهج للمرة الأولى في أوروبا في (فرنسا) على يد **أندري دوشيسون** الذي ألف كتاب (تاريخ فرنسا الأدبي) سنة 1767م.

➤ ويقسم فيه الأدب الفرنسي حسب العصور والظروف السياسية ويقول: **إن النصوص الأدبية الراقية هي عصور الأدب الراقية،** وعصور تاريخ السياسة المنحطة هي عصور الأدب المنحطة)

➤ فالمنهج التاريخي: يتخذ من الحوادث التاريخية والسياسية وسيلةً لتفسير الأدب وتعليل ظواهره وخصائصه، ويركز على تحقيق النصوص وتوثيقها باستحضار بيئة الأديب والشاعر وحياتهما؛ بمعنى آخر، هو قراءة تاريخية.

➤ ويذهب المنهج التاريخي في النقد، بشكل خاص، إلى التنبيه إلى أهمية ما هو خارج النص ومعرفة سياقاته. وبهذه الطريقة، لجأ النقاد إلى استنباط القيم من الواقع الخارجي ومما هو متخصص من الأبحاث للتوصل إلى مجموعة من التراكيب والتأويلات.

أهم العوامل التي أدت إلى ظهور المنهج التاريخي

➤ دعوة تقول أن الأدب تعبيرٌ عن الإنسان بكل أبعاده.

➤ لاحظوا أن الأدب ينمو ويتطور بمرور الزمن.

➤ أن النقد التأثري كان سائدًا وسيطر على الأجواء النقدية، فحاولوا تخليص الساحة النقدية من هذا، بأن يتوسعوا بالبحث عن نقد عقلي .

مميزات المنهج التاريخي:

- ▶ توظف التاريخ مادة للنقد، وعدم استخدام النص مادة للتاريخ النص. أي توظيف الماضي من اجل الحاضر
- ▶ بلورة الروابط الموجودة بين الأعمال الأدبية في إطار تاريخي زمني (أي إطار وعي بحركة التاريخ)
- ▶ يحتاج المنهج التاريخي الى ثقافة واعية، وتتبع دقيق لحركة الزمن. وما فيه من معطيات يمكنها أن تنعكس بصورة مباشرة أو غير مباشرة على النص الأدبي. لارتباط هذا المنهج ارتباطا وثيقا بالمنهج النقدية الأخرى على الأقل من هذا الاطار.
- ▶ يعتمد على ملاحظات الباحث و ملاحظات المحيطين

مميزات المنهج التاريخي:

- ▶ لا يقف عند مجرد الوصف بل يحلل ويفسر.
- ▶ عامل الزمن، حيث تتم دراسة المجتمع في فترة زمنية معينة.
- ▶ أكثر شمولاً وعمقاً لأنه دراسة للماضي والحاضر.
- ▶ يختص المنهج التاريخي بالتوفيق مع الأعمال القديمة من حيث ذكرها وحفظها وترتيب ظواهرها في سياق التسلسل التاريخي التي تتكون منها حياة الأدباء ونتائجهم والجمهور والعلاقات بين الكاتب ومستهلك الكتاب، ويقدم التفسيرات حول هذه الأشياء، وعلى مستوى أعمق يحاول شرحها وحتى إحيائها من خلال المقتطفات أو يقوم أمام تراكم الوقائع بإطلاق المعايير. والقواعد التي تحكم بيئة الأدباء وسيرتهم الذاتية.

- أن أصحاب المنهج التاريخي قد درسوا العملية الأدبية ضمن إطارين.
- الإطار الزماني والإطار المكاني الخاص بها.
- والنظر إليها كأنها وثيقة تحتزن الظاهرة السياسية والاجتماعية والثقافية، فيتخذ من تلك الحوادث السياسية والاجتماعية والتاريخية وسيلة لتفسير الأدب وتعليل ظواهره وخصائصه.
- والتركيز على تحقيق النصوص وتوثيقها باستحضار بيئة الأديب والشاعر وحياتهما.
- فالمنهج هو قراءة تاريخية في خطاب النقد الأدبي
- وهو تفسير نشأة الأثر الأدبي بربطه بزمانه ومكانه وشخصياته، أي أن التاريخ هنا يكون خادماً للنص ودراسته لا يكون هدفاً قائماً بذاته بل يتعلق بخدمة هذا النص
- يعد المنهج التاريخي من أكثر المناهج اعتماداً في ميدان البحث الأدبي، لأنه أكثر صلاحية لتتبع الظواهر الكبرى في الأدب ودراسة تطوراتها .
- لذا هو المنهج الوحيد الذي يمكننا من دراسة المسار الأدبي لأي أمه من الأمم، ويمكننا من التعرف على ما يتميز به أديبها من خصائص عن آداب الأمم الأخرى .

أهم أعلام المنهج التاريخ

• أ. سانت بيف :

• يُعد هذا الناقد من أوائل النقاد الذين ساهموا في نشأة المنهج التاريخي متأثرًا في ذلك باتجاهه العلمي التجريبي، كان يبحث في الإنتاج الأدبي لا من حيث دلالاته على المجتمع فحسب، كما فعلت (مدام دي ستال)، ولكن من حيث دلالاته على مؤلفه، فكانت أحكامه في النقد أحكاما منصبة على شخصيات المؤلفين .

• ووظيفة النقد الأدبي عنده: هي النفاذ إلى ذات المؤلف، لتشف روحه من وراء عباءته بحيث يفهمه قراؤه وهو بذلك يضع الناقد نفسه موضع الكاتب.

• ولقد دعا "سانت بيف" في ظل منهجية نقده هذه إلى "دراسة الأدباء دراسة علمية تقوم على بحوث تفصيلية لعلاقاتهم بأوطانهم، وأممهم، وعصورهم وآبائهم وأمهاتهم، وأسرهم، وتربياتهم، وأمزجتهم، وثقافتهم، وتكويناتهم المادية، الجسمية، وخواصهم النفسية والعقلية، وعلاقاتهم بأصدقائهم، ومعارفهم، والتعرف على كل ما يتصل بهم من عادات وأفكار، ومبادئ مع محاولة تبين فترات مجاحهم وإخفاقهم وجوانب ضعفهم، وكل ما اضطربوا فيه طوال حياتهم في الغدو والرواح وفي الصباح والمساء

• ب - هيوبلت تين:

• يعد تين من أوائل الذين استخدموا المنهج التاريخي: إلا أن استخدامه له لا يختلف كثيراً عن أستاذه "سانت بيف".

• لكنه يستند إلى المنهج التاريخي في دراسته للأدب من خلال، وصفه للأدب في مجموعة هي نتاج الفنان نفسه، والجماعة الفنية التي ينتمي إليها، والمجتمع الذي أنتجها. ويرى أن الأدب يفهم ويُفسر من خلال ثلاثة عناصر:

• 1 - الجنس أو العرق: ويقصد به: مجموع الاستعدادات الفطرية التي تميز مجموعة من الناس انحدروا من أصل واحد، وهذه الاستعدادات مرتبطة بالفروق الملحوظة في مزاج الفرد وتركيبه العضوي.

• **ولا شك أن هذه النظرية خاطئة لاعتمادها العرق أساساً متجاهلة عبقريات الأفراد وتقاليد الأمم والشعوب في تنظيم أساليب الحياة وفق متطلبات يفرضها الزمان والمكان في الغاب،**

• 2 - البيئة: ويقصد بها الوسط الجغرافي والمكاني الذي ينشأ فيه أفراد الأمة، لتكون بينهم حياة مشتركة في العادات والأخلاق والروح الاجتماعية .

• 3 - العصر أو الزمان: وهو الأحداث السياسية والاجتماعية التي تكون طابعاً عاماً يترك أثره على الأدب.

• ج - برونتير:

• أراد برونتير أن يُطبق بعض القوانين العلمية على الأدب، ولا سيما نظرية دارون (النشوء والارتقاء).

يسجل النقاد على هذا المنهج عدة ملاحظات منها:

- لوحظ عليه اهتمامه بعناصر تفسير النص تفسيراً تاريخياً اجتماعياً مما أدى إلى انكبابه على تفسير المضمون وإهمال الشكل الفني، وقد ذكرتُ رأيي في تلك المسألة.
- الاستقراء الناقص: بحيث من الصعب بل من المستحيل جمع كل شيء عن الأديب أو الشاعر من أول حياته، ويضرب النقاد مثلاً بما فعله طه حسين من دراسة شعر المجون في العصر العباسي ثم إصدار الحكم عليه دون دراسة بقية الفنون الأدبية من مدح وغيره.
- الأحكام الجازمة: ومثال تلك الأحكام قول بعض النقاد: "اتساع نفوذ الفرس هو الذي أوجد شعر المجون والخمریات." "
- التعميم العلمي: ومثاله تعميم نظرية دارون في النشوء والارتقاء الخاصة بعلوم الإحياء في البحث الأدبي متجاهلين طبيعة الأدب.
- نسيان أن الأدب ليس دائماً تسجيلاً للواقع المعيش أو الماضي ولكنه كذلك تسجيل للأمال والأشواق المستقبلية والرغبات المكنونة في النفس الفردية أو الجماعية.